obeikandl.com

obeikandl.com

١٧٦- طائِرُ اللَّهِ لا طائِرُكَ

أسلوبٌ عربيٌّ جاهليٌّ قديمٌ، استعملَتْهُ العَرَبُ في جاهليتِها، وهم أهْلُ تَطيُّرٍ، وقد نَهَى الإسلامُ عنه، وهذا الأسلوبُ يَجْرِي في كلامهم مَجْرَى الدعاءِ.

قال الأزهريُّ: قالوا للشيءِ يُتَطَيَّرُ بهِ منَ الإنسانِ وغَيْرِهِ: (طائرُ اللهِ لا طائِرُكَ)، وفيه معنى الدُّعاءِ[١].

وقال ابنُ الأنباريِّ: معناه فِعْلُ اللَّهِ وحُكْمُهُ لا فِعْلُكَ وما تَتَخَوَّفه[٢].

وقالَ اللِّحيانيُّ: يقال طَيْرُ اللَّهِ لاطْيُرَكَ، وطَيْرَ اللهِ لا طَيْرَكَ، وطائرَ اللهِ لاطائِرَكَ، وصباحُ اللهِ لاصباحُكَ، ومساءُ اللهِ لامساؤُك (ولا مساءَكَ).

قال: يقولونَ: هذا كلّه إذا تَطَيَّروا منَ الإنسانِ[٣].

إعرابه: الاسم (طائر) مرويٌّ بالنَّصْبِ والرَّفْعِ، فأمّا النَّصْبُ فعلى معنى: نُحِبُّ طائرَ اللهِ.

وقيل: على معنى أسألُ اللَّهَ طائِرَهُ لا طائرَك.

وقال الأزهريُّ: رفعوهُ على إرادةِ: هذا طائرُ اللهِ، وفيه معنى الدُّعاءِ[٤].

* * *

(١) التهذيب: طير. ١٤/ ١١ وانظر: اللسان: طير.
(٢) الزاهر: ٢/ ٣٢٥.
(٣) اللسان: طير.
(٤) التهذيب: طير: ١٤/ ١١.

١٧٧- طُوبَى لكَ (لهم)

هذا أسلوبٌ عربيٌّ إسلاميٌّ عريقٌ، يقوم على اسمٍ مرفوعٍ (وقد يُنْصَبُ) متبوعٍ بشبهِ جملةٍ، وهو كَلِمَةُ استحسانٍ، وفيه معنى الدعاءِ للإنسانِ[١].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٢]

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «طُوبَى لعبدٍ أشعثَ رأسُه، مُغْبَرَّةٍ قدماهُ في سبيل الله، طُوبَى له، ثُمَّ طُوبَى له»[٣] وفي الحديث أيضاً «إنّ الإسلام بَدَأَ غريباً وسيعودُ غريباً كما بَدَأَ، فَطُوبَى للغُرَباءِ»[٤]

وقال الشاعرُ:

طُوبَى لِمَنْ يستبدلُ الطَّوْدَ بالقرَى

ورِسلاً بيَقْطِينِ العراقِ وفُومِها[٥]

(الرِّسْل: اللَّبَنُ، والطَّوْدُ: الجَبَلُ، والفُومُ: الخبز والحِنْطَةُ، ويُقالُ: هو الثومُ والفاءُ بَدَلٌ منَ الثاءِ).

معناه:

اختلف العلماءُ وأَهْلُ التفسيرِ واللُّغَةِ حَوْلَ معنى (طُوبَى) وقد ذكرَ ابنُ الجوزيِّ في تفسيرِهِ[٦] ثمانيةَ وجوهٍ فيها هي:

١- طُوبَى شجرٌ في الجَنَّةِ، قال[٧] مُغيثُ بنُ سُمَيٍ طُوبَى شجرةٌ في الجنةِ ليسَ في

---

(١) روح المعاني للألوسي: ١٣/ ١٥١.
(٢) الرعد: ٢٩.
(٣) سنن ابن ماجة: ١٣٨٦ والفائق: ١/ ١٥١.
(٤) اللسان: طيب.
(٥) الزاهر لابن الأنباري: ١/ ٤٥٠.
(٦) زاد المسير لابن الجوزي: ٤/ ٣٢٧.
(٧) الزاهر: ١/ ٤٤٩.

الجنة دارٌ إلا وفيها غصنٌ منها، وهناك حديثٌ شريف جاءَ بهذا المعنى.

٢- طُوبَى اسمُ الجنةِ بالحبشيةِ، ذكرَ ابنُ الأنباريِّ أن هذا القول لابنِ عباسٍ رضي الله عنهما[١]، وقال سعيد بن مسجوح: (طوبى) اسم الجنة بالهندية[٢].

٣- (طُوبَى) بمعنى فرح وقُرَّة عَيْنٍ لهم.

٤- بمعنى نُعْمَى لهم. ونسب ابن الأنباري هذا القول لعكرمة[٣].

٥- بمعنى غبطة لهم.

٦- بمعنى الخير لهم، قالَهُ إبراهيمُ النخعيُّ ومجاهد وروي عن إبراهيم أنه قال: (طُوبَى) الخير والبركة التي أعطاهم الله[٤].

٧- بمعنى حُسْنى لهم. رَوَى ذلك سعيدُ بن أبي عَروبة عن قتادة[٥].

٨- بمعنى العيش الطيّب.

إنّ المدقِّقَ في هذه الوجوه الثمانيةِ يدركُ أنّ وجهين منهما أعجميان، وهما الأول والثاني وما عداهما عربيّ. وقد روى مَعْمَر عن قتادةَ أنَّه قال: (طوبى لهم) كلمة عربية، تقول العرب: طوَبى لكَ إن فعلتَ كذا وكذا[٦].

وقال الزَّجَّاجُ: (طُوبَى) فُعْلى من الطِّيب، وقال ابنُ الأنباريِّ: تأويلُها الحالُ المُسْتَطَابَةُ والخَلَّةُ المستلذَّةُ، وأصلُها (طُيْبَى) فصارتِ الياءُ واواً لسكونها وانضمام ما قبلَها، كما صارتْ (مُوْقِنٌ) والأصل (مُيْقِن)، لأنه مأخوذٌ من اليقين، فَغَلَبَتِ

---

(١) الزاهر: ١/ ٤٥٠ واللسان: طوب.
(٢) انظر المصدرين السابقين.
(٣) الزاهر: ١/ ٤٤٩.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه واللسان: طيب.

الضمّةُ فيه الياءَ فجعلتها واواً[١].

ونَقَلَ الألوسيُّ أنَّ (طُوبَى) مصدرٌ من (طابَ) كبُشْرَى وزُلْفى[٢].

والذي يؤكّد ذلكَ أنَّ ابنَ مكوزةَ الأعرابيَّ قرأَ الآيةَ: ﴿طِيبَى لهم وحسن مآب﴾[٣] ليسلم الياء.

استعماله:

استعملتِ العَرَبُ هذا الأسلوبَ على صورتِه التي أوردناها وذُكِرَتْ في القرآنِ الكريمِ والحديثِ وشِعْرِ العَرَبِ: (طوبى لك) وثمَّةَ صورةٌ أخرى له يُقال فيها: (طُوبَاكَ) بحذفِ لامِ الجرِّ، على الإضافة، ذَكَرَ هذهِ الصورةَ ابنُ الأنباريِّ، وقال: (طُوبَاكَ إنْ فعلت كذا) هذا ممَّا تَلْحَنُ فيه العوامُ[٤].

لكنَّ هناك مَنْ ذكَرَ هذا الوَجْهَ وأقرَّهُ وهو الأخفشُ، نَقَلَ صاحبُ اللِّسانِ أنّه يُقال: طُوبى لك وطُوباك بالإضافة[٥]، وقال صاحبُ التهذيب[٦]: العربُ تقول طُوبَى لك، ولاتقلْ: طُوبَاكَ، وهذا قول أكثر النحويين إلاّ الأخفش فإنّه قال: مِنَ العَرَبِ مَنْ يضيفُها فيقولُ: طُوبَاكَ.

وقال يعقوبُ: ولاتقلْ: طُوبِيكَ بالياء[٧].

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي: ٤/٣٢٨-٣٢٩.
(٢) روح المعاني: ١٣/١٥٠.
(٣) المصدر نفسه. وحكى أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: قرأ عليّ أعرابيّ بالحرم: (طيبى لهم) فقلتُ: (طُوبى) فقال: (طِيبَى) فاعدت فقلت: (طوبى) فقال: (طِيبَى) فلما طال عليَّ فقلت: (طُو) (طُو) فقال: (طِي) (طِي). انظر: اللسان: طيب. وانظر في قراءة (طيبي): مختصر شواذ ابن خالويه ص: ٧١.
(٤) الزاهر: ١/٤٤٩ واللسان: طيب.
(٥) اللسان: طيب.
(٦) التهذيب: ١٤/٣٩.
(٧) اللسان: طيب.

إعرابه:

(طُوبَى لك) أسلوبٌ يتكوَّنُ من اسمٍ هو (طُوبَى) وشبه جملة جار ومجرور فأمّا الاسمُ (طوبى) فهو مصدرٌ من الفعلِ (طابَ) كبُشْرى وزُلْفى، يُعرب مبتدأً مرفوعاً وهو نكرةٌ، وسوّغ الابتداء بالنكرة ماذَهَبَ إليه سيبويه بأنّه يذهبُ فيه مذهبَ الدعاء، كقولهم: سلامٌ عليكم[1].

ويذهبُ ابنُ مالكٍ إلى أنَّه لا بدَّ منَ الالتزامِ بوَجْهِ الرفعِ على الابتداء، لكنَّ هناك قراءةً بنصب (وحُسْنَ مآب)[2] في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴿٢٩﴾﴾ وقد خرّج ثعلب ذلك على أنّ (حُسْنَ) بالنصب معطوفٌ على (طوبى) وأنّها في مَوْضِعِ نَصْبٍ، جَعَلَ (طوبى) مصدراً كقولك: (سَقْياً له)، واستدلّ على أنّ موضعه نَصْبٌ بقوله: «وحُسْنَ مآبٍ» على قراءة عيسى الثقفي[3]. وقال صاحب اللوامح: إنّ التقديرَ يا طوبَى لهم ويا حُسْنَ مآبٍ، ويا حُسْنَ مآبهم، أي ما أطيبهم وأحسنَ مآبهم[4].

وقال الصفاقسي: يجوز نصب (حُسْنَ) بمقدّرٍ: رأى وَرَزَقَهُمْ حُسْنَ مآبٍ وهذا بعيدٌ[5].

* * *

(١) سيبويه: ١/ ٣٣١. ابن خالويه ص: ٧١.
(٢) روح المعاني: ١٣/ ١٥١.
(٣) روح المعاني: ١٣/ ١٥١. وانظر: مختصر شواذ
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.